أُسْلوبُ التَّكْرارِ في كِتابِ (البرهان في متشابه القرآن) للكرماني

أ.م. د. وفاء عبّاس فيّاض

جامعة كربلاء - كليّة العلوم الإسلاميّة

ملخص البحث:

اتخذ الإعجاز القرآني صوراً متعددة ومناحي كثيرة منها ما يتعلق بالألفاظ مفردة، ومنها ما يتعلق بالتركيب، وأسلوب التكرار واحد من أبرز أساليب التعبير في القرآن الكريم، ووقف عنده الكرماني صاحب كتاب (البرهان في متشابه القرآن) المطبوع بعنوان (أسرار التكرار في القرآن) طويلا ولا سيما في الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير وغير ذلك مما ذكر علله والغاية من وجوده، وكان التكرار لديه وسيلة من أجل التأكيد تارة ومن أجل الاختصار أو التخصيص تارة أخرى، وغيرهما مما سنذكره في اثناء البحث.

ولذلك سيكون البحث مقسما على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يتناول التمهيد تسليط الضوء على حياة الكرماني بصورة موجزة، ومن ثم نعرّج على كتاب (البرهان في متشابه القرآن) للوقوف على أبرز معالمه ومنهجه في عرض مادته وقيمة هذا الكتاب العلمية، وكذلك الوقوف على لفظة التكرار في اللغة والاصطلاح، ويتناول المبحث الأول التكرار في الأسماء والمبحث الثاني التكرار في الأفعال والمبحث الثالث التكرار في الحروف النحوية.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين. أما بعد فقد اختلفت توجهات العلماء إزاء النص القرآني فجاءت جهودهم مختلفة باختلاف نظرتهم له، ولذلك ظهرت الدراسات القرآنية فكانت هنالك كتب التفسير بمختلف مستوياتها التاريخية واللغوية التي تبحث في جوانب عديدة منه سواء في بيان معانيه أو إعرابه أو غريبه أو قراءاته وغيرها من الجهود الأخرى، ومنهم من نظر إليه على أنه معجز فأخذ يبحث في صور إعجازه، وقد اتخذ الإعجاز القرآني صوراً متعددة ومناحي كثيرة منها ما يتعلق بالألفاظ مفردة، ومنها ما يتعلق بالتركيب، وأسلوب التكرار واحد من أبرز أساليب التعبير في القرآن الكريم، ووقف عنده الكرماني صاحب كتاب (أسرار التكرار في القرآن) المطبوع بهذا العنوان طويلا ولا سيما في الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير وغير ذلك مما ذكر علله والغاية من وجوده، وكان التكرار لديه وسيلة من أجل التأكيد تارة ومن أجل الاختصار أو التخصيص تارة أخرى.

ولذلك سيكون البحث مقسما على تمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة، يتناول التمهيد تسليط الضوء على حياة الكرماني بصورة موجزة، ومن ثم نعرّج على كتاب (أسرار التكرار في القرآن)[1] للوقوف على تسميته وعلى أبرز معالمه ومنهج الكرماني في عرض مادته وقيمة هذا الكتاب العلمية وكذلك الوقوف على لفظة التكرار في اللغة والاصطلاح، ويتناول المبحث الأول التكرار في الأسماء والمبحث الثاني التكرار في الأفعال والمبحث الثالث التكرار في الحروف.

التمهيد: الكرماني وكتابه البرهان في متشابه القرآن

لعلّ من أقدم وأول من قام بترجمة لحياة الكرماني هو ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)

(١) سوف نلتزم بهذه التسمية موافقة لاسم الكتاب المطبوع بهذا الاسم.

في معجم الأدباء بقوله هو: ((محمود بن حمزة بن نصر الكرماني النحوي، هو تاج القراء وأحد العلماء الفهماء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها. صنف لباب التفسير، والإيجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، [و] النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني. [و] الإفادة في النحو، [و] العنوان فيه أيضاً))[٢]. وقد نقلت بعض المصادر التالية هذه الترجمة بحذافيرها ولم يزيدوا عليها شيئا إلا قليلا[٣]، وهو مظهر غريب بالنسبة لرجل له مؤلفات في النحو والتفسير، وله مشاركة في علوم أخرى تبدو من كتابه (البرهان) كما ذكر ذلك محقق الكتاب[٤].

وزاد على هذه الترجمة السابقة ابن الجزري (ت٨٣٣هـ) قوله: ((محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم الكرماني المعروف بتاج القراء، مؤلف كتاب خط المصاحف وكتاب الهداية في شرح غاية ابن مهران وكتاب لباب التفاسير وكتاب البرهان في معاني متشابه القرآن، إمام كبير محقق ثقة كبير المحل، لا أعلم على من قرأ ولكن قرأ عليه أبو عبد الله نصر بن علي بن أبي مريم فيما أحسب، كان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها والله أعلم))[٥].

(٢) معجم الأدباء ١٩/ ١٢٥.

(٣) ينظر: بغية الوعاة٢/ ٢٧٧، غاية النهاية في طبقات القراء: الجزري٢/ ٢٩١، طبقات المفسرين: الداوودي ٢/ ٣١٢. ومن الجدير بالذكر في هذا الموضع أني لم أعثر على ترجمة للكرماني في كتاب إنباه الرواة على أنباه النحاة: لجمال الدين القفطي (ت٦٤٦هـ) كما ذكر محقق الكتاب ذلك، فضلا عن أنه ذكر الكتاب بعد كتاب بغية الوعاة للسيوطي (ت٩١١هـ)، والتسلسل الزمني يقتضي التقديم، كذلك لم أعثر على ترجمة لحياته في كتابي طبقات القراء: للذهبي (ت ٧٤٨هـ)، ولا حتى في كتابه الآخر (معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار). وطبقات المفسرين: للسيوطي.

(٤) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ١٢.

(٥) غاية النهاية في طبقات القراء٢/ ٢٩١.

وأكد على ذكر مؤلفاته ولا سيما كتابه (البرهان في متشابه القرآن) الداوودي (ت٩٤٥هـ) في طبقاته (وهو كتاب الأسرار موضوع البحث) بقوله: ((صنّف: لباب التفسير، وكتاب البرهان في متشابه القرآن، وكتاب خط المصاحف. وكتاب الهداية في شرح غاية ابن مهران و الإيجاز في النحو اختصره من الإيضاح، النظاميّ في النحو اختصره من اللمع، الإفادة في النحو، و العنوان وغير ذلك))[٦].

وهذه الترجمة المقتضبة في حياة الكرماني وهذا الغموض الذي تكتنفه حياته يعزا سببهما على ما يبدو ملازمته كرمان وعدم رحلته في طلب العلم هو الذي لم يدع له شهرة بين مؤلفي الطبقات حتى جهلت سنة ميلاده وسنة وفاته، وكل ما عرف عن حياته أنه كان في حدود الخمسمئة وتوفي بعدها، ومن المؤكد أن تاج القرّاء كان يعيش في آخر القرن الخامس وأول السادس ((وإن كنا نرجح أنه عاش في النصف الثاني من القرن السادس))[٧] وكما ذكر لنا ذلك أستاذنا الدكتور حاتم صالح الضامن رحمه الله تعالى.

كتاب البرهان في متشابه القرآن:

الذي يبدو لنا أن الكرماني هو المؤلِف الوحيد وكتابه المؤلَف الوحيد الذي عالج فيه هذا الموضوع (يعني أسلوب التكرار) لأننا ((لا نعلم إلى الآن كتابا مطبوعا عالج هذا الباب من الدراسة القرآنية مستقصيا ومستقلا، إلا كتاب الاسكافي» درة التنزيل، وغرة التأويل» وقد أطال القول فيه، وغمض مقصده، وأغفل كثيرا من مواضع التكرار، وإلا « درة التنزيل» للرازي وهو مطبوع بمصر مختصرا غير واف بالغرض. وإلا متفرقات هنا وهناك في بطون الكتب، أو جانب واحد من جوانب التكرار الكلي كالقصص، أما جزئيات التكرار واستقصائها في القرآن على الوجه الذي سلكه الكرماني في البرهان من الإيجاز والوضوح فلا نجده، ولذلك يعتبر هذا

(٦) طبقات المفسرين٢/ ٣١٢.

(٧) أسرار التكرار ١٢.

الكتاب هو الأول من نوعه وبابه في المكتبة الإسلامية، وتلك أولى دلائل أهميته))[٨].

وأحتل التكرار لدى تاج القراء محمود بن حمزة بن نصر الكرماني مكاناً واسعاً في كتابه المطبوع بعنوان (أسرار التكرار في القرآن) الذي سماه هو بنفسه في نهاية مقدمة كتابه: ((وسميت هذا الكتاب، البرهان في متشابه القرآن، لما فيه من الحجة والبيان، وبالله وعليه التكلان))[٩] ولم يحظ هذا الكتاب بنصيب من العناية والاهتمام؛ ولعل السبب في ذلك هو كما بيّنه محقق الكتاب عبد القادر أحمد عطا لم يتأت من كونه غير معروف لدى الأقدمين؛ وإنما كانت الإشكالية في عنوانه، يقول المحقق: ((فالكتاب معروف إذن بين العلماء الأقدمين، ولكنه لم يتداول في عصرنا ولم تنهض إليه يد لإخراجه لسبب واحد فيما نرى، هو العنوان الذي اختاره للكتاب، إذ سماه: «البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان» فأغمض المشتغلون بالنشر عنه عيونهم إذ ظنوه في المتشابه بمعنى: الموهم، أو الغامض، ولم يفطنوا إلى أنه في المتشابه بمعنى: المتماثل، وهو مكررات القرآن كما أوضح مؤلفه في مقدمته))[١٠].

وقد حدد الكرماني منهجه في مقدمة كتابه أيضا بقوله: ((فإن هذا كتاب أذكر فيه الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة، ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان، وأبين ما السبب في تكرارها، والفائدة في إعادتها، وما الموجب للزيادة والنقصان، والتقديم أو التأخير، أو الإبدال، وما الحكمة في تخصيص الآية بذلك دون الآية

(٨) اسرار التكرار في القرآن ١٤.

(٩) اسرار التكرار في القرآن ١٩. من الجدير بالذكر ههنا أن هناك رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حققها الطالب ناصر بن سليمان العمر بعنوان: (البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) وهو ما أثبته مؤلف الكتاب في مقدمة كتابه.

(١٠) أسرار التكرار في القرآن ١٣(مقدمة المحقق).

الأخرى، وهل يصلح ما في هذه السورة مكان ما في السورة التي تشاكلها أم لا، ليجري ذلك مجرى علامات تزيل إشكالها، وتمتاز بها عن أشكالها، من غير أن أشتغل بتفسيرها وتأويلها، فإني بحمد الله قد بينت ذلك كله بشرائطه في كتاب (لباب التفسير وعجائب التأويل) مشتملا على أكثر ما نحن بصدده، ولكني أفردت هذا الكتاب لبيان المتشابه، فإن الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها، ولم يشتغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها. وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه))[١١].

وعبر التأمل بدقائق النص المتقدم يتضح أن الكرماني كان على بينة ودراية في كتابه هذا من أنّ الآيات المتشابه في القرآن الكريم متشابه في الأسلوب والتركيب، ولكنها قد تختلف في المضمون وهذا يحدده السياق في الجملة، ولا يعني به المتشابه في العقائد والأحكام، ولذلك أكد على إثبات عنوانه في مقدمة كتابه(البرهان في متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان) وشرع في بيان أسباب هذا التشابه وذكر علله والغاية المرجوة في بيانها، ووقفت على أمثلة مختلفة من معالجته لجملة من الألفاظ التي ظهر فيها أسلوب التكرار، وذلك عبر ذكر المتشابه من الآيات القرآنية التي تعرّض إلى بيانها في كل سورة من سور القرآن الكريم.

التكرار في اللغة والاصطلاح:

اتفقت معظم المعجمات اللغوية على أن دلالة التكرار في اللغة هو الرجوع منها: ((والكَرُّ: الرجوع عليه، ومنه التَّكرار))[١٢]. وقد تكون دلالته الرجوع والإعادة كقول ابن منظور (ت٧١١هـ): ((الكَرُّ الرجوع يقال كَرَّه وكَرَّ بنفسه يتعدّى ولا يتعدّى والكَرُّ مصدر كَرَّ عليه يَكُرُّ كرًّا وكُروراً وتَكْراراً عطف وكَرَّ عنه رجع وكَرّ على العدوّ يَكُرُّ ورجل كَرَّار ومِكَرّ وكذلك الفرس وكَرَّرَ الشيء وكَرْكَره أَعاده مرة

(١١) أسرار التكرار في القرآن١٧ -١٨(مقدمة المؤلف).
(١٢) العين مادة (كرر).

بعد أُخرى))[١٣] ويواصل ابن منظور كلامه بأن ((الكَرُّ الرجوع على الشيء ومنه التَّكْرارُ ابن بُزُرجٍ التَّكِرَّةُ بمعنى التَّكْرارِ وكذلك التَّسِرَّة والتَّضِرَّة والتَّدِرَّة الجوهري كَرَّرْتُ الشيء تَكْرِيراً وتَكْراراً... والكَرَّةُ البَعْث وتَجْديدُ الخَلْق بعد الفَناء وكَرّ المريضُ يَكِرُّ كَرِيراً جاد بنفسه عند الموت))[١٤].

وفي الاصطلاح فإن التكرار كما أوضحه الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) هو ((عبارة عن الإتيان بشيء مرة بعد أخرى))[١٥] أو هو((تكرار كلمة أو لفظ أكثر من مرة في سياق واحد لنكتة ما، وذلك إما للتوكيد، أو لزيادة التنبيه أو للتهويل، أو للتعظيم))[١٦] ويبدو أن العلاقة قوية بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للفظة التكرار، فكلاهما بمعنى واحد هو الإعادة وهو ما يقصده العلماء في مؤلفاتهم.

الفرق بين مصطلحي التكرار والتكرير:

هنالك مصطلح آخر وقف عنده السيوطي (ت٩١١هـ) وهو مصطلح التكرير ((وهو أبلغ من التأكيد وهو من محاسن الفصاحة خلافا لبعض من غلط وله فوائد منها التقرير، وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر وقد نبه تعالى على السبب الذي لأجله كرر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾ [سورة طه: ١١٣] ومنها التأكيد ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول ومنه ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾ [سورة غافر: ٣٨ -٣٩] فإنه كرر فيه النداء لذلك...))[١٧]. وغير ذلك من الفوائد

(١٣) لسان العرب مادة (كرر). وينظر: الصحاح في اللغة، مادة (كرر). والقاموس المحيط (كرر).

(١٤) المصدر السابق.

(١٥) التعريفات ٤١.

(١٦) أنوار الربيع في أنواع البديع ٥/ ٣٤ -٣٥.

(١٧) الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٧٩.

الأخرى التي ساقها السيوطي وضرب لها أمثلة من القرآن الكريم[١٨].

ويعد التكرار بمعنى الرجوع أو الإعادة في الكلام أسلوبا من أساليب التعبير ليس في القرآن فحسب بل هو من طرق العرب وسننها، إذ عدّه ابن فارس (ت٣٩٥هـ): ((من سنن العرب التكرير والإعادة))[١٩]. ولعل العلة في ذلك ترجع إلى ((إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر))[٢٠]. وقد قسّمه العلماء على نوعين[٢١]: أحدهما الذي نجده في اللفظ والمعنى، كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع. والآخر الذي نجده في المعنى دون اللفظ، كقولك: أطعني ولا تعصني، فإن الأمر بالطاعة هو النهي عن المعصية. والتكرار الذي تناوله الكرماني جُلّه يقع ضمن القسم الأول كما سيتضح من البحث.

ومن الجدير بالذكر الإشارة إلى أنّ (التكرار) الذي توجهت إليه عناية الكرماني لم يقتصر على التكرار في السياق الواحد من نحو قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴾[٢٢] [سورة الواقعة: ١٠]، و ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴾[٢٣] [سورة النبأ: ٤ – ٥] بل تعدى الأمر إلى تكرار ما في الآيات القرآنية المتشابهة في المواضع المتفرقة، وبهذا فقد حصر وظيفة التكرار في أغلب الألفاظ بـ(التوكيد) ويعدّ التوكيد أحد الوظائف النحوية في الجملة وعند النحويين ((أن يكون التكرير للتوكيد نحو قولك: جاءني زيدٌ زيدٌ، ورأيت عمراً عمراً، ومررت ببكرٍ ببكرٍ. ومعناه لا شك في ذلك كأنك توهمت اللبس وفهّمته. ويجوز مثل هذا الفعل نحو: اضربْ اضربْ ، واعجلْ

(١٨) ينظر: المصدر السابق ٢/ ١٨٠ –١٨٣.
(١٩) الصاحبي في فقه اللغة ٢٠٧.
(٢٠) المصدر السابق.
(٢١) المثل السائر٢/ ١٤٦.
(٢٢) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ١٩٩.
(٢٣) ينظر: أسرار التكرار في القرآن ٢١٣.

اعجلْ، وقُمْ قُم. وهذا كله على التوكيد))[٢٤].

والتكرار في كتاب (أسرار التكرار في القرآن) يمكن أن نجعله على ثلاثة أنواع هي: تكرار في الأسماء، وتكرار في الأفعال، وتكرار في بعض الحروف النحوية ولذا سنأتي على مجمل ما ذكر في هذا الكتاب.

المبحث الأول: التكرار في الأسماء:

عدّ الكرماني الأسماء من جملة المتشابه في الآيات، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد المعاني التي يمكن أن يرد عليها هذا التكرار مما يحتاج إلى الإبانة عنها، وترجيح بعضها على بعض بمقابلتها بعدم التكرار. يقول الكرماني في: ((قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس: ١] ثمّ كرّر (النَّاسِ) خمس مرّات...))[٢٥] فالتكرار فرع أو ظاهرة تم بها خرق الأصل وهو أن تذكر الألفاظ مرة واحدة، ويجري التعويض عنها بالضمير الذي يسميه سيبويه (علامة المضمر) ويسميه الكوفيون (الكناية).

ويقدّم الكرماني في سبيل رفع هذا التشابه وبيان ميزة التكرار ثلاثة آراء هي:

الرأي الأول: يذهب فيه إلى أنَّ التكرار كان لتعظيم (الناس) ورفع درجتهم على ما سبق أي في سورة (الفلق). لأن الموضع ذم وهنا موضع مدح.

الرأي الثاني: التكرار يقوم مقام الرابط بين الآيات القرآنية في هذه السورة وذلك لانعدام حرف العطف بينها وانفصال كل آية عن الأخرى. قال الكرماني: ((وقيل: كرّر لانفصال كلّ آية من الأُخرى بعدم حرف العطف))[٢٦]. ويرد على هذا الرأي أنه كان بالإمكان استعمال الضمير ،على أنّ من استعمال حرف العطف ما يؤدي إلى تعدد المعوَّذ به وهو الله.

الرأي الثالث: إنَّ اختلاف المعنى المراد لكل منها هو الذي أدّى إلى تكرارها. قال

(٢٤) شرح عيون الإعراب ٢١٩.
(٢٥) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٨.
(٢٦) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٨.

الكرماني: ((وقيل: المراد بالأَوّل الأَطفال ومعنى الرّبوبيّة يدلّ عليه، وبالثاني الشُّبّان ولفظ المُلْك المُنبئ عن السّياسة يدلّ عليه؛ لأَنَّه. وبالثالث الشيوخ ولفظ (إِله) المنبئ عن العبادة يدلّ عليه؛ وبالرابع الصّالحون والأَبرار. والشيطان مولع بإِغوائهم، وبالخامس المفسدون والأَشرار، وعَطْفه على المتعوَّذ منهم يدل ّعلى ذلك))[٢٧]. فهذا الرأي يرتكز على السياق اللغوي والدلالي، فالتكرار يكشف عن تعدد معاني اللفظة الواحدة بحسب بيئتها اللغوية التي تقع فيها.

وقد يرجع إلى أنَّ التكرار نتيجة لاختلاف دلالة (النَّاس) من جهة القلة والكثرة كما ذهب إلى ذلك الدكتور فاضل السامرائي[٢٨] من أنّ (الرَبّ) هو الموجه والمرشد والمربي وقد يكون هناك أكثر من موجه وكل واحد منا قد يكون (ربًّا). والملك وسلطته لا يتعدون الأكثرية. أما الإله فواحد لا يتعدد. فالشكوى تكون إلى رب الناس وهم الكثرة ثم إلى الملك وهم القلة ثم إلى الإله وهو الله وهو واحد. فتدرج من الكثرة فقال: (رب الناس) ثم القلة فقال: (ملك الناس) ثم ذكر الواحد فقال (إله الناس) هذا من ناحية ومن ناحية أخرى هناك تدرج من القلة إلى الكثرة لأن (الناس) قد يطلق على الواحد لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٣] يراد به نعيم بن مسعود الأشجعي، وقد يطلق على المجموع لقول الرسولﷺ: ((أشيروا عليّ أيُّها الناس)) يعني الأنصار. فتدرج بـ(الناس) من القلة إلى الكثرة، وتدرج من الكثرة إلى القلة فقال: من الرب ثم الملك ثم الإله.

وعلل الكرماني تكرار (الإيلاف) في قوله تعالى: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ﴾ [سورة قريش: ١ -٢] بقوله: ((لأَنَّ الثَّاني بدل من الأَوّل أَفاد بيان

(٢٧) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٨.

(٢٨) ينظر: التعبير القرآني: محاضرات ألقاها الدكتور على طلبة الدكتوراه (مدونتي)

المفعول، وهو رِحْلَةَ الشِّتَآءِ والصيف..))[٢٩]. فالتكرار أفاد التأكيد بزيادة ايضاح المفعول الثاني (رحلة الشتاء) وكون قريش أشد استئناسا وألفةً لهذه الرحلات التي كانت وسيلتهم للعيش في مكان وصفه الله أنه ﴿ بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ ﴾ [سورة إبراهيم: ٣٧].

ومن المتشابهات ما ذكره من تكرار الأسماء قوله تعالى: ((﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [سورة البلد: ١] ثم قال ﴿ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴾ [سورة البلد: ٢] كرّره وجعله فاصلا في الآيتين، وقد سبق القول في مثل هذا. وممَّا ذكر في هذه السّورة على الخصوص أَنَّ التقدير: لا أُقسم بهذا البلد وهو حَرَام وأَنت حِلّ بهذا البلد وهو حلال؛ لأَنَّه أُحِلَّت له مكَّة حتى قتل فيها مَن شاءَ وقاتل. فلما اختلف معناه صار كأَنه غير الأَوّل، ودخل في القِسْم الذي يختلف معناه ويتَّفق لفظه))[٣٠]. فالنص يؤكد ما سبق من أنَّ التكرار يعدّ تكرارا إذا تكررت اللفظة مرتين وإن اختلف دلالته، ويذهب الكرماني إلى أنه لما كان المعنى الأول المقصود إليه يختلف عن معنى اللفظة في الموضع الثاني أبيح هذا التكرار. وبهذا يكون المراد من (الحلِّ) الحلال فيكون المعنى: لا أقسم بهذا البلد وحلال لك قتل من شئت بهذا البلد[٣١].

ومما ورد في الذكر الحكيم مما تكررت فيه الأسماء ما جاء من تكرار الاسم الموصول (ما) بمعنى(الذي)، كما في قوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة يونس: ٦٨] وقوله تعالى: ﴿ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة طه: ٦] يقول الكرماني: ((ذكر بلفظ (ما) فكرّر؛ لأَنَّ بعض الكفَّار قالوا: اتَّخذ الله ولداً، فقال سبحانه: له ما في السّموات وما في الأرض، وكان الموضع

(٢٩) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٥ -٢٢٦.
(٣٠) أسرار التكرار في القرآن ٢١٩.
(٣١) ينظر: التعبير القرآني: محاضرات ألقاها الدكتور فاضل السامرائي على طلبة الدكتوراه (مدونتي). وينظر: لمسات بيانية ١٨٠ وما بعدها.

موضع (ما) وموضع التكرار؛ للتَّأْكيد والتَّخصيص))[٣٢].

فالتكرار تأكيد لملك الله سبحانه لهما والتخصيص بأنّ يشتمل هذا الملك على كل فرد من أفراد السموات والأرض وهو ما عبّر عنه بعض المفسرين بالتنصيص على الأفراد (أي اتخاذُ الولد إنما يكون لدفع أَذًى، أَو جَلب منفعة). وكذلك الحال في قوله تعالى: ﴿ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة الحج: ١٨] وقد وجد ((أنه حيث قصد التنصيص على الأفراد ذكر الموصول والظرف الا ترى إلى المقصود في سورة (يونس)[٣٣] من نفي الشركاء الذين اتخذوهم في الأرض وإلى المقصود في آية (الكرسي) من إحاطة الملك. وحيث قصد امر آخر لم يذكر الموصول إلا مرة واحدة إشارة إلى قصد الجنس وللإهتمام بما هو المقصود في تلك الآية. الا ترى إلى سورة (الرحمن) المقصود منها علو قدرة الله تعالى وعلمه وشأنه وكونه مسؤولاً ولم يقصد السائلين))[٣٤]. وهو قوله تعالى: ﴿ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ ﴾ [سورة الرحمن: ٢٩]. وكذلك الحال فيما إذا كان الموضع موضع تفصيل وإحاطة كرر (ما) كما في قوله تعالى: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة المجادلة: ٧].

ويلاحظ أنّ الكرماني أجملَ الكلامَ ههنا وحاول شيئاً من التفصيل في موضع آخر وذلك في قوله تعالى: ﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة التغابن: ١] وبعده: ﴿ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ ﴾ [سورة التغابن: ٤] ((إِنَّما كرّر (ما) فى أَوّل السّورة لاختلاف تسبيح أَهل الأَرض وتسبيح أَهل السّماءِ في الكثرة والقِلَّة، والبعد والقرب من المعصية والطَّاعة. وكذلك (ما يُسرّون وما يعلنون)؛ فإنهما ضدّان. ولم يكرّر معها (يعلم) لأَنَّ الكلّ بالإِضافة إِلى علم الله

(٣٢) أسرار التكرار في القرآن ١٠٤.

(٣٣) يعني بها الآية ٦٦ من قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾.

(٣٤) البرهان في علوم القرآن ٤/ ٧٣ – ٧٤، وينظر: التعبير القرآني ٨٧ – ٨٨.

سبحانه جنس واحد؛ لا يخفى عليه شيء))[٣٥].

فالتكرار كان في الموضع الذي يقتضي التفصيل فلكل من أهل السموات وأهل الأرض ما يميزه عن غيره على أنهما لا يمتازان من جهة علم الله فهما سواء عنده. ويلاحظ أيضا أن الفعل (يعلم) يكتسب محتوى دلالياً يختلف في سعته وكيفيته عندما يكون مسنداً إلى الله عنه عندما يكون مسنداً إلى غيره من المخلوقات.

ووازن الكرماني بين أوائل السور الخمس التي بدأ آياتها الأولى بـ(التسبيح) وهي: الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن. وجاء في بداية كل منها قوله تعالى: ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ إلا في سورة (الحديد) فقد جاء قوله تعالى: ﴿ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾. وعلق على ذلك قائلاً: ((إعادة (ما) هو الأَصل. وخُصّت هذه السّورة (يعني: الحديد) بالحذف؛ موافقة لما بعدها. وهو ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾ [سورة الحديد: ٤] وبعدها ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [سورة الحديد: ٢]، لأَنَّ التَّقدير في هذه السّورة: (سبَح لله خَلْق السموات والأَرض). ولذلك قال في آخر الحشر بعد قوله: ﴿ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الآية ٢٤] أي: خَلْقُها))[٣٦].

فبعد أن يقرر الكرماني أن الأصل ذكر (ما) بناءً على الأكثر استعمالاً -فيما يبدو- ولما كان الأصل لا يبحث عن علته كما هو مشهور عند النحويين، فقد توجه نحو بيان علة ما في سورة (الحديد) فرجع عدم تكرار (ما) إلى علة سياقية. فالسياق اللغوي للآية أقتضى هذا الحذف لموافقتها ما بعدها.

المبحث الثاني: التكرار في الأفعال:

من أقسام التكرار الوارد عند الكرماني ما جاء من تكرار الفعل، وبمعنى آخر هو تكرار الجملة الفعلية لأن الفعل لا يخلو من فاعل ظاهر أو مضمر كما يقول سيبويه

(٣٥) أسرار التكرار في القرآن ٢٠٥.

(٣٦) أسرار التكرار في القرآن ٢٠٠.

وهو كالجزء من الفعل[٣٧].

ومن المواضع التي التفت إليها الكرماني في هذا السياق تكرار فعل الأمر (قُلْ) في بدايات بعض السور وهن على التتالي ففي قوله تعالى: ﴿ قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴾ [سورة الجن: ١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة الكافرون: ١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص: ١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [سورة الفلق: ١]، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ [سورة الناس: ١]، إذ قال في سورة الفلق: ((نزلت في ابتداءِ خمس سُوَر، وصارت مَتْلُوّا بها؛ لأَنَّها نزلت جواباً، وكَرّرَ قوله: ((مِنْ شَرِّ)) أَربع مرّات؛ لأَنَّ شرّ كلّ واحد منها غير شرّ الآخر))[٣٨]. وكما يلحظ أن منحى الكرماني فيما يرد من تكرار الألفاظ بنحو متابع يرتكز على تباين معنى كل لفظة عن سابقتها، كما كان في تكرار (الناس) وتكرار (البلد) وههنا تكرار (من شر).

ومنه تكرار (تواصوا) في قوله تعالى: ﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر: ١ -٣] وعلل هذا التكرار بقوله: ((كرّر لاختلاف المفعولين، وهما (بِالحَقِّ) و(بِالصَّبْرِ)))[٣٩]. ولعل في تكرار التواصي ميزة تربوية للمجتمع الإسلامي بالمعاهدة والتكاتف بين أفراد المجتمع في أمرين هما: لزوم الحق والعدل، ولزوم الصبر.

ومن التكرار الذي وقع في المتشابه القرآني قول الكرماني في قوله تعالى: ﴿ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾ [سورة الطارق: ١٧] ((هذا تكرار، وتقديره: مهِّل مهِّل مهِّل؛ لكنَّه عدل في الثَّاني إلى (أَمهل)؛ لأَنَّه من أَصله، وبمعناه: كراهة التكرار، وعدل

(٣٧) ينظر: الكتاب ١/ ٤٠. المقتضب ٤/ ٥٠.

(٣٨) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٧ -٢٢٨.

(٣٩) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٥.

في الثالث إلى قوله: (رُوَيْداً)؛ لأنَّه بمعناه، أي إرْودا ثم إرواداً. ثم صُغِّر (إرواداً) تصغير التَّرخيم، فصار: (رويداً). وقيل: (رويدًا) صفة مصدر محذوف، أي إمهالاً رُوَيْدًا، فيكون التكرار مرّتين. وهذه أُعجوبة))[٤٠].

ومع موافقتنا لوصف الكرماني هذا التعبير بالإعجوبة للطريقة التي تكررت بها الألفاظ والمعاني فكرر فعل (مَهِّل) بصيغة أخرى لفعل الأمر من هذه المادة وهو (أمهلهم) ثم كرر الحدث بـ (رويداً) ثم إن التقدير في الجملة يقوم على التكرار أيضا فـ (رويداً) (وهو مصغر للمصدر ارواداً) انتصب على فعل محذوف من لفظه هو (أرودهم) الذي قام مقامه (أمهلهم)، وكذلك فيما قيل من كونه صفة فإن التقدير (إمهالاً رويداً) ينحو كالتكرار. فيكون (إمهالاً رويداً) تكرارين مع ماسبق من (مهِّل) و (أمهلهم).

وهذا يذكرنا بالآية المباركة من قوله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا ﴾ [سورة المزّمل: ٨] إذ أتى بالفعل (تبتّل) ثم لم يأت بمصدره بل أتى بمصدر فعل آخر (تبتيلا) وهو يلاقيه في الاشتقاق فجمع بين معنى الفعل ومعنى المصدر من أقرب طريق وأيسره، وهذا استعمال فني عجيب وهو من وضع استعمال الأبنية وضعا معجزا في القرآن الكريم، كما يقول ذلك دكتورنا الأستاذ فاضل السامرائي[٤١] فمن ناحية البنية فقد جاء بالفعل (تبتّل)غير أنه لم يأت بمصدره وإنما جاء بمصدر فعل آخر هو (بتّل) وذلك أن مصدر(تبتل) هو (التبتّل) فإن مصدر(تفعّل) يكون على (التفعّل) كتعلم تعلما وتقدّم تقدّما، وأما (التبتيل) فهو مصدر بتّلَ لا تبتّل فإن (التفعيل) هو مصدر (فعّل) كعلّم تعليما وعظّم تعظيما. وكان المتوقع أن يقول (وتبتل إليه تبتلا) غير أنه لم يقل ذلك. والسبب في ذلك أنه أراد أن يجمع بين معني التبتل والتبتيل وذلك أن تبتّل على وزن (تفعّل) و(تفعّل) يفيد التدرج

(٤٠) أسرار التكرار في القرآن ٢١٧.

(٤١) ينظر: التعبير القرآني ٣٤-٣٥.

والتكلف مثل تجسس وتحسس وتبصّر، وأما (فعّل) فيفيد التكثير والمبالغة وذلك نحو كسر وكسّر التي تفيد أنك جعلته كسرة كسرة بخلاف الأولى التي تعني كسرته مرة واحدة، فالله سبحانه جاء بالفعل لمعنى التدرج ثم جاء بالمصدر لمعنى آخر هو التكثير وجمع المعنيين في عبارة واحدة موجزة ووضعهما وضعا فنيا فغاير بين البنية (الصيغة) والدلالة فكسب المعنيين في آن واحد وهذا باب شريف في القرآن الكريم.

ومن تكرار الجملة الفعلية التي وقف عندها الكرماني ما قد يحذف منه الضمير من نحو قوله تعالى: ﴿ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٧٥] ثمّ قوله فيما بعد: ﴿ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٧٩]. يقول الكرماني: ((كرّر وحذف الضمير من الثاني؛ لأنه لمَّا نَزَل (وَأَبْصِرْهُمْ) قالوا: متى هذا الذي تُوعدنا به؟. فأنزل الله ﴿ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴾ [سورة الصافات: ١٧٦] كرّر تأْكيداً...))[٤٢]. بمعنى أن الحذف كان لوضوح المفعول عبر سياق الحال وعبر سياق نظم الآيات، وكان التكرار لأجل تأكيد ما يستبعدون حدوثه. ثم ينقل الكرماني آراء أخرى قيلت في دلالة الآية الأولى وسبب حذف المضمر من الثانية فقد ((وقيل: الأُولى في الدّنيا، والثانية في العُقْبى. والتقدير: أَبصر ما ينالهم، فسوف يبصرون ذلك. وقيل: أَبصر حالهم بقلبك فسوف يبصرون معاينةً. وقيل: بعد ما ضيّعوا من أَمرنا فسوف يبصرون ما يحل بهم وحُذِف الضّمير من الثاني اكتفاءً بالأَوّل. وقيل: الضمير مضمر تقديره: ترى اليوم (خيرهم إِلى تولّ)[٤٣] وترى بعد اليوم ما تحتقِر ما شدهدتهم (لعلها: شاهدتهم) فيه من عذاب الدّنيا))[٤٤]. فالكرماني على عادته يستطرد في إيراد طائفة من الآراء التي قيلت في الموضع من غير أن يعتني بنسبة هذه الآراء إلى أصحابها، بل يجعل مدار الأمر حول استعراض الآراء.

(٤٢) أسرار التكرار في القرآن ١٨١.
(٤٣) في كتاب بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (غيرهم إلى ذُل) ينظر ١/ ٣٩٧ منه.
(٤٤) أسرار التكرار في القرآن ١٨١ -١٨٢.

المبحث الثالث: التكرار في الحروف النحوية:

هنالك نوع آخر من التكرار هو تكرار الحروف النحوية ويشترط النحويون عند التكرار أن تعاد الأداة (حرف المعنى) مع ما دخلت عليه أو اتصلت به. ومما يبرز ههنا عند الكرماني عند وقوفه على مواضع تكرار الحروف النحوية التسويغ لها بطول صلة الحرف الأول ثم يستدعي ذكره وتكملة جوابه كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النحل: ١١٠]: ((كرّر (إنّ)، وكذلك في الآية الأخرى ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ﴾[٤٥] لأن الكلام لمّا طال بصلته أعاد (إن) واسمها وثمّ، وذكر الخبر. ومثله: ﴿ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُمْ مُخْرَجُونَ ﴾ [سورة المؤمنون: ٣٥] أعاد (أنَّ) واسمها لمّا طال الكلام))[٤٦].

والملاحظ أنَّ طول الصلة قد يفقد التعبير بيانه الأسمى ويصبح أقل من أن يوصف بالبلاغة فانظر إلى هذه الآية لو لم تكرر (أنكم) فيها كيف يكون حالها إذ تصبح: أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً مخرجون؟!.

وقد يكون تكرار الأداة لدواعي تحسين التعبير من نحو ما جاء في تكرار(لا) و (في) معاً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾[سورة يونس: ١٨] يقول الكرماني: ((بزياة (لا) وتكرار(في) لأَنَّ تكرار (لا) مع النفي كثير حسن، فلمّا كرّر(لا) كرر (في) تحسيناً للفظ الألف، لأنه وقع في مقابلة (أنجيتنا) ومثله في سبأ في موضعين[٤٧] (كذا)،

(٤٥) يعني بها قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [سورة النحل: ١١٩].

(٤٦) أسرار التكرار في القرآن ١٢٦.

(٤٧) قوله تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ ﴾ [الآية ٣]. وقوله تعالى: ﴿ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [الآية ٢٢].

والملائكة[٤٨]))[٤٩].

وللنحويين[٥٠] كلام كثير في زيادة (لا) النافية خاصة عند وقوعها بعد نفي غير أنّ القول بزيادتها لا يعني أنّه لا وظيفة لها بل إن ههنا تفيد تأكيد شمول النفي للطرفين، استنكاراً من الله لهؤلاء وسخرية بهم. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡ ﴾ [سورة التوبة: ٥٥] بتكرار (لا) وقوله في الآية الأخرى: ﴿ وَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡ ﴾ [سورة التوبة: ٨٥] بحذفها من (أولادهم). وقد علل الكرماني هذا بقوله: ((لأنَّه لمّا أَكَّد الكلام الأَوّل بالإِيجاب بعد النفي وهو الغاية، وعلَّق الثَّاني بالأَوّل تعليق الجزاء بالشرط، اقتضى الكلامُ الثاني من التوكيد ما اقتضاه الأَوّلُ، فأَكَّد معنى النَّهي بتكرار (لا) في المعطوف))[٥١].

ومن زاوية أخرى فإننا نرى ((أن الآية الأولى مقصود فيها من التأكيد ما لم يقصد في الثانية لما قيل لهﷺ: «وما منعهم أن تقبل منهم نفاقتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله» وذكر له من قبح مرتكباتهم أشنعها أكد نهيهﷺ عن أن يلتفت إليهم تنزيها لقدره العلي عن الصغو إلى ما حاصله إملاء ولأهله في الحقيقة استدراج وعناء فدخلت لا النافية تأكيدا يناسب هذا القصد، ولما لم يكن في الآية الأخرى اشتراط وجزاء يقتضي التأكيد فلم تخل لا فجاء كل على ما يجب ويناسب))[٥٢].

ويشترط في الحكم بالتكرار أن يكون متعلق اللفظة واحداً في الحالتين وإلا لم يحكم في الثانية بأنها تكرار للأولى، وقد صرّح الكرماني بذلك في بعض الآي المتشابه وإنّ كان ظاهره التكرار كما في المتشابه من قوله تعالى ﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴾[سورة الإسراء: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً

(٤٨) قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الآية ٤٤]).

(٤٩) أسرار التكرار في القرآن ١٠٢.

(٥٠) ينظر: دراسة في حروف المعاني الزائدة ١١١ –١٥٥.

(٥١) أسرار التكرار في القرآن ٩٧.

(٥٢) ملاك التأويل ١/ ٣٢٣.

﴿إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[سورة الإسراء: ٢٩]، وقوله: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾[سورة الإسراء: ٣٩]. فظاهر الحال أن التكرار وقع في (ولا تجعل) ولكن الخطاب لما جاء مختلفاً سواء بالمخاطب أو بمكان الخطاب انتفى كونه تكراراً. وعلى هذا قال الكرماني: ((فيها بعض التشابه، ويُشْبه التكرار وليس بتكرار؛ لأَنَّ الأُولى والثانية في الدّنيا، والثالثة في العُقْبى، والخطاب فيهما للنَّبيّ ﷺ، والمراد به غيره))[٥٣].

ومنه ما جاء في سورة الرعد، قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[سورة الرعد: ٢١] وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [سورة الرعد: ٢٥]. فالظاهر أنه كرر قوله ﴿مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ في الموضعين من هذه السورة قال الكرماني: ((ليس بتكرار؛ لأَنَّ الأَوَّل متَّصل بقوله: (يَصِلُون) وعطف عليه (ويخْشَون)، والثَّاني متَّصل بقوله: (ويقطعون) وعطف عليه (يفسدون)))[٥٤].

إن هذا الإحتراز من الكرماني فيما تقدم يدعونا إلى القول بأن مدار التكرار من جهتين: دلالية ونحوية، فالدلالية أن يكون للفظة الثانية المدلول نفسه للفظة الأولى. والنحوية أن يكون العامل فيهما واحداً. ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[سورة التكاثر: ٣ – ٤]. فالرأي الأول أنه تكرار أفاد التوكيد((وعند بعضهم: هما في وقتين: القبر والقيامة. فلا يكون تكراراً. وكذلك قول من قال: الأَول للكفَّار، والثاني للمؤمنين))[٥٥].

وعلى ما يبدو فإن السياق له أثر في توجيه المعنى القرآني الذي يراد منه النص عبر

(٥٣) أسرار التكرار في القرآن ١٢٧.
(٥٤) أسرار التكرار في القرآن ١١٦.
(٥٥) أسرار التكرار في القرآن ٢٢٤. وينظر: لمسات بيانية ١٧١ –١٧٢.

استعماله تكرار الحرف وعدم ذكره، فمثال ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾[سورة الأعراف: ١٢]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ﴾ [سورة ص: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ ﴾[سورة الحجر: ٣٢]، بزيادة (يا إبليس) في السورتين، ويعلل الكرماني سبب ذلك بقوله: ((لأن خطابه قرب من ذكره في هذه السورة (يعني: الأعراف) وهو قوله: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ ﴾[١١، ١٢]، فحسن حذف حرف النداء والمنادى، ولم يقرب في (ص) قربه منه في هذه السورة، لأن في (ص)، ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [٧٤] ، بزيادة (استكبر)، فزاد حرف النداء والمنادى فقال: (يا إبليس)، وكذلك في الحجر، فإن فيها: ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾[٣١]، بزيادة(أبى)، فزاد حرف النداء والمنادى فقال: (يا إبليس ما لك)))[٥٦].

ولعل هنالك توجه آخر في إيراد بعض النصوص القرآنية التي تتكرر فيها الحروف موافقة لما قبلها في السياق، من ذلك قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾[سورة الأعراف: ١٦]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[سورة ص: ٨٢]، وقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي ﴾[سورة الحجر: ٣٩]، ويبين الكرماني العلة في ذلك بقوله: ((لأن ما في هذه السورة (يعني: الأعراف) موافق لما قبله في الاقتصار على الخطاب دون النداء. وما في الحجر موافق لما قبله في مطابقة النداء، وزاد في هذه السورة الفاء التي هي للعطف، ليكون الثاني مربوطا بالأول، ولم تدخل في الحجر، فاكتفى بمطابقة النداء، لامتناع النداء منه، لأنه ليس بالذي يستدعي النداء، فإن ذلك يقع مع السؤال والطلب، وهذا قسم عند أكثرهم، بدليل ما في (ص)، وخبر عند بعضهم والذي في (ص) على قياس ما في الأعراف (١٦، ١٧) دون الحجر(٣٩، ٤٠)، لأن موافقتها أكثر على ما سبق، فقال: (فبعزتك) والله أعلم))[٥٧].

(٥٦) أسرار التكرار في القرآن ٧٧ –٧٨.

(٥٧) أسرار التكرار في القرآن ٧٩ – ٨٠.

ويعقّب الكرماني بعد الانتهاء من معالجته لهذه النصوص بقوله: ((وهذا الفصل في هذه السورة (يعني: الأعراف) برهان لامع. وسأل الخطيب نفسه عن هذه المسائل فأجاب عنها. وقال: إن اقتصاص ما مضى إذا لم يقصد به أداء الألفاظ بأعيانها كان اختلافها واتفاقها سواء إذا أدى المعنى المقصود. وهذا جواب حسن، إن رضيت به كفيت مؤنة السهر إلى السحر))[٥٨] .

ومهما يكن فإن مظاهر التكرار على اختلافها ترجع إلى وظيفة أساسية هي التأكيد وتقوية المعنى. ويمكننا القول إن معظم الآيات المتشابهات التي ورد بها التكرار كانت للتأكيد ولعل الأمر يخرج عن هذا الغرض إلى مراعاة السياق الإيقاعي للتعبير القرآني وهو ما اصطلح عليه الكرماني بمراعاة (فواصل الآي) من نحو ما ذكر في تكرار (لعل) في تعالى: ﴿ لَّعَلِّيٓ أَرۡجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[سورة يوسف: ٤٦] إذ قال: ((كرّر (لعل) رعاية لفواصل الآي، إذ لو جاءَ بمقتضى الكلام لقال: لعلي أَرجع إِلى النَّاس فيعلموا، بحذف النون على الجواب. ومثله في هذه السّورة سواءً قوله: ﴿ لَعَلَّهُمۡ يَعۡرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾ [سورة يوسف: ٦٢]، فمقتضى الكلام: أَي لعلَّهم يعرفونها فيرجعوا))[٥٩]. فلم تكرر(لعل) إلا محافظة على انتهاء الآية بحرف النون.

الخاتمة:

بعد الإنتهاء من بحث (أسلوب التكرار في أسرار التكرار) للكرماني وقفنا على جملة من النتائج كان من أبرزها:

- إنّ (التكرار) الذي توجهت إليه عناية الكرماني لم يقتصر على التكرار في السياق الواحد، بل تعدى الأمر إلى تكرار ما في الآيات القرآنية المتشابهة في المواضع المتفرقة، وبهذا فقد حصر وظيفة التكرار في أغلب الألفاظ بـ(التوكيد).

(٥٨) أسرار التكرار في القرآن ٨٠.
(٥٩) أسرار التكرار في القرآن ١١٢.

- عدّ الكرماني الأسماء من جملة المتشابه في الآيات، ولعل ذلك يرجع إلى تعدد المعاني التي يمكن أن يرد عليها هذا التكرار مما يحتا+ج إلى الإبانة عنها، وترجيح بعضها على بعض بمقابلتها بعدم التكرار.
- التكرار عند الكرماني فرع أو ظاهرة تم بها خرق الأصل وهو أن تذكر الألفاظ مرة واحدة، ويجري التعويض عنها بالضمير.
- يلاحظ أن الفعل(يعلم) يكتسب محتوى دلالياً يختلف في سعته وكيفيته عندما يكون مسنداً إلى الله عنه عندما يكون مسنداً إلى غيره من المخلوقات.
- قد يكون تكرار الأداة النحوية لدواعي تحسين التعبير، وأن مدار التكرار من جهتين: دلالية ونحوية، فالدلالية أن يكون للفظة الثانية المدلول نفسه للفظة الأولى. والنحوية أن يكون العامل فيهما واحداً.
- إن مظاهر التكرار على اختلافها ترجع إلى وظيفة أساسية هي التأكيد وتقوية المعنى. ويمكننا القول بأن معظم الآيات المتشابهات التي ورد بها التكرار كان للتأكيد ولعل الأمر يخرج عن هذا الغرض إلى مراعاة السياق الإيقاعي للتعبير القرآني وهو ما اصطلح عليه الكرماني بمراعاة (فواصل الآي).

مصادر البحث:

القرآن الكريم.

١) الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، الطبعة الأولى، دار الفكر -لبنان ١٤١٦هـ -١٩٩٦م.

٢) اسرار التكرار في القرآن: محمود بن حمزة الكرماني(ت ق٦هـ)، دراسة وتحقيق: عبد القادر أحمد عطا، نوادر التراث/ دار الاعتصام، ونسخة أخرى مصورة عن دار بوسلامة للطباعة والنشر -تونس، الطبعة الأولى١٩٨٣م.

٣) أنوار الربيع في أنواع البديع: علي صدر الدين ابن معصوم المدني(ت١٠٥٢-١١٢٠هـ) تحقيق: شاكر هادي شُكر، مطبعة النعمان -النجف الشريف ١٩٦٩-

١٩٦٨م.
٤) البرهان في علوم القرآن: بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي(ت٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية -بيروت١٩٨٨م.
٥) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ) بتحقيق: محمد علي النجار، القاهرة١٣٨٣هـ -١٩٦٤م، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي -القاهرة ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
٦) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ، لبنان -صيدا.
٧) التعبير القرآني: د. فاضل صالح السامرائي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، مطبعة التعليم العالي -الموصل ،١٩٨٦م -١٩٨٧م.
٨) التعبير القرآني: محاضرات ألقاها الدكتور فاضل السامرائي على طلبة الدكتوراه (مدونتي) للعام الدراسي ١٩٩٦ -١٩٩٧م.
٩) التعريفات: أبو الحسن علي بن محمد الجرجاني المعروف بالسيد الشريف(ت٨١٦هـ)، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق -بغداد الأعظمية.
١٠) دراسة في حروف المعاني الزائدة: عباس محمد السامرائي، طبع بمطبعة الجامعة- بغداد، الطبعة الأولى،١٩٨٧م.
١١) شرح عيون الإعراب: أبو الحسن علي بن فضّال المجاشعي (ت٤٧٩هـ)، تحقيق: د. حنا جميل حداد، مطبعة المنار -الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٥م.
١٢) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أحمد ابن فارس (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: مصطفى الشويمي، مؤسسة أ. بدران -بيروت/ لبنان،١٣٨٣هـ- ١٩٦٤م.
١٣) الصحاح في اللغة: إسماعيل بن حماد الجوهري(ت٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد

الغفور عطار، طبع على نفقة صاحب العلى السيد حسن شربتلي، دار الكتاب العربي –القاهرة،١٩٥٦م.

١٤) طبقات المفسرين: شمس الدين الداوودي(ت ٩٤٥هـ) دار الكتب العلمية – بيروت.

١٥) العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٥هـ) تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، دار الحرية للطباعة –بغداد.

١٦) غاية النهاية في طبقات القرّاء: شمس الدين ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية.

١٧) عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ ج. برجستراسر.

١٨) القاموس المحيط: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي(ت٨١٧هـ)، دار الفكر بيروت،١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١٩) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ) طبعة مصورة عن مطبعة بولاق، المطبعة الأميرية الكبرى –القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣١٧هـ.

٢٠) لسان العرب: ابن منظور الأفريقي المصري(ت٧١١هـ)، الطبعة الأولى دار صادر –بيروت.

٢١) لمسات بيانية في نصوص من التنزيل: د. فاضل السامرائي، دار الشؤون الثقافية–بغداد، الطبعة الأولى،١٩٩٩م.

٢٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين ابن الأثير (ت) تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية –بيروت، ١٩٩٥م.

٢٣) معجم الأدباء: ياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ)، راجعته وزارة المعارف العربية، مكتبة عيسى البابي الحلبي –القاهرة، الطبعة الأخيرة، دت.

٢٤) المقتضب: أبو العباس المبرد (ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب –بيروت،(د. ت).